كم أوقدوا للسّاري الكباء وكم ۝ صبّ الغرور مع الحجاز وكباء
وكم لهم من قبب ضخم ومن ۝ مبنى منوّعة ومن صوّاب
فرأيت فيها أوجه أنوار ۝ مغشية النور من الغشاء

يقال قوم صُيّاب أي خيار وقال الشاعر

من معشر يحلق بالكرام ابيتهم ۝ مبلغ أيقع لينام غير صُيّاب

ويقال هو في صُيّابة قومه وصوّابة قومه أي في صميم قومه قال الغزا وقد تقوم نفسه من زهد وما من قوله لله ما صيابة اما ان تكون زائدة كانه قال لله صيابة واما ان تكون نكرة موصوفة وصيابة صفة لها وهو احسن لان من لوازم النكرة الابهام وهو أليق بهذا الموضع لان المراد به التعجب على ان ما الزائدة لا تخلو من الدلالة على تاكيد وهو ابلغ مما يحسن في هذا المكان والكباء ضرب من العود قال الشاعر
ورندا ولبنى والكباء المغترا يقال منه كبّا ثوبه بالتشنبر بجمرة واكتبا وتكبّى أي تبخر وكبّا صبّ يقال نحوت الكوز وغيره اذا صببت ما فيه والقنن جمع قنة وهو أعلى الجبل ومثله القلّة والصوّا ما غلظ وارتفع من الارض ولم يبلغ ان يكون جبلا والانور جمع نار ومغشية النور مغشية العيون لا تستطيع ان تنظر اليها لشرة لمعانها تقول عشا بصره لمع البرق ولمع النار وقال الشاعر

يعكا لهن يغشي الناظر ۝ من اتاهم لمعوا شعاعه

والعُشا جمع عُشوة بضم العين وهي الشعلة من النار والمعنى أنه وصف اخوانا لهم من أهل المجد والشرف وكانوا أهل علم وحلم وكرم كا عيبهم في عض الشباب وخاض بهم بحر من النعيم والعيش الرغد ثم وصفهم بانهم لكرمهم وعلو هممهم كانوا يوقدون للساري الكباء عوضا عن الحطب وانما قصد في قول الحسب المتنبي في قوله وقد ذكرنا فيه

تركت دخان الرمث في أوطانها ۝ طلبا لقوم يوقدون العنبرا
وتكرّمت ركباتها عن مبرك ۝ تقعان فيه وليس مسكا اذفرا

أردت البيت الاول ثم ذكر قبابهم وانهم يتخذونها في القنن والمواضع المرتفعة ليرى نارهم الساري فيقصد اليها وتلك عادة اجواد العرب ومنهم الذي يقول العبد

يا ساعراني البيل ليل قرّ ۝ والريح فيه بردّ وصرّ
عسى يرى نارك من يمرّ ۝ إن جلبت ضيفا فانت حرّ

وجعل تلك القبب معنى ومقرّ لاشتهارها بقرى الاضياف وبكثرة القصاد ووصفها بعى

البيت

٧٨

البيت لاضائه اشراق بلك القبب باضوا وجوههم واشعة نارهم وان نور وجوههم يغشى الناظر وشعل نارهم تهدي للطارق وعامل بين صدر البيت وعجزه في تغشية النور الى الاوجه ومنه ان العشى وهو نوع من تحسين الطلب عاطيتهم من السرور اكوسا ۝ يغنى على الكاس بها ويكتفي
من كل من تلعبه نشوان اذا ۝ يصحوا ويلفى طاحيا اذ انتشا
لنا انتقال كانتقال الشهب في ۝ افاقها من مستوى لمستوى
منسفل مرتفعا مرتفعا ۝ ومستجير مرتفعا في تقعا

المعاطاة المناولة وقد تقدم تفسير النشوان والطاحي والشهب هنا النجوم والمنتوى المنزل يقال انتوى القوم منزلا بموضع كذا وكذا اي استقرت به نواهم واشتقاقه من النوى وهو الوجه الذي ينوي به المسافر من قرب او بعد والافاق النواحي واحدها افق والمرتفع اسم للمكان من رتفع وهو مفتعل يقال خرجنا نلعب ونرتفع اي نلهو او قوم راتعون اي لاهون من رتعت الماشية ترتع رتوعا اذا اكلت ما شاءت والابل رتاع ومرتقعا مفتعل من ارتقى وهو اسم للمكان ايضا يقال رقى الشيء وارتقى وقد قرأ نرتع واي كثير يرتع ويلعب بكسر العين على انه من ارتقى وقرأ الباقون نرتع بسكونها على انه من رتع ومستجيرا اي متخذ حيرا يحيرا ومستجيرا اي مختار حيرا وقد في البيت الثاني من هذه الابيات مذهب ابي الحسن في قوله
يصحبه دهر وياتي صحوه لكم ۝ مستيقظ فيهن صاح وهو نشوان
اراد الناظم انه اذا كان صاحيا حسبته من سكر الكرم ما يحكي من امواله الغنى لا يعقله لانه حقه هو في عقله يسكر واذا سكر حسبته صاحيا لرزانة عقله اراد السكر لا يذهب بذهنه ولا يبلغ به مبلغ من يخرجه الى ما يشينه ويحتمل ان يكون معنى البيت انهم لا يستشعرون الخمر ولا ينتشون لانهم في السرور وكانت لهم بمنزلة الكؤوس فاذا انتشا احد منهم بالسرور كان في الحقيقة صاحيا لانه لم ينتش بمسكر وهو صحو لان النشوان لا يصحبه من السرور والبيت الاول يدل على هذا المعنى الثاني ومثله قول القاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني
وقد كسانى انخداع العيش معرفتي ۝ ما نذ الجولي من نسيجه برك
تخشف نشوات الخمر همته ۝ وعلمنا العطايا انه ثمل
وقد كانى الناظم في البيت الثاني بين نشوان اذا يصحوا وصاحيا اذ انتشا وجانس في الرابع بين منسفل ومستجير ومرتفع ومرتقى

مالثبت من مشتى بشاطي دجلة ۝ بين قنان وقطا وربا
ومن مصيف فوق شاطي نهر ۝ بين قصور وحصون ومنى
ومربع على مياه فرت ۝ بين مروج وبطاح وربا
ومخرف على مياه جمة ۝ بين غصون وحصون ودوا

Copyright © King Saud University